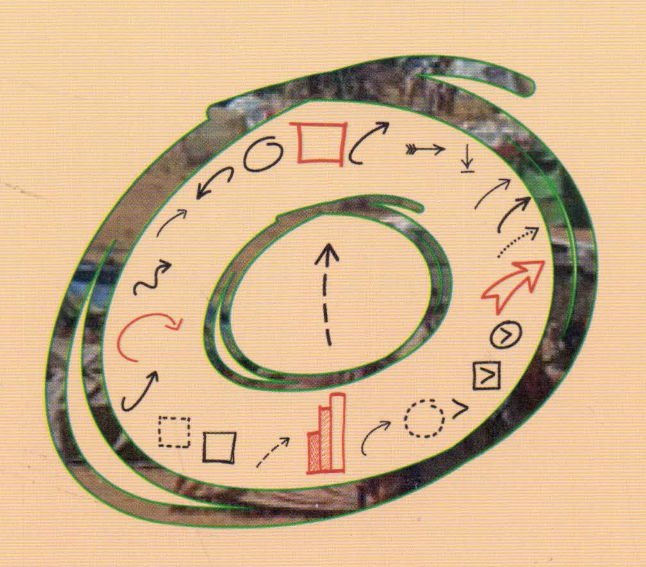
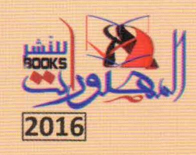



# سلطنة دارفور

## تاريخها وبعض مظاهر حضارتها


مصطفى محمد مسعد





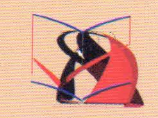
2016

# سلطنة دارفور
## تاريخها وبعض مظاهر حضارتها
## مصطفى محمد مسعد

صدر في سلسلة




1. القلب الخشبيّ، عبد الغني كرم الله
2. في الشّعر السّودانيّ، د. عبد المجيد عابدين
3. قبائل من السّودان الأوسط والسّودان الغربي، د. عبد المجيد عا
4. يوميّات عبّاس بك معاون، عبّاس بك معاون
5. سلطنة دارفور، د. مصطفى محمد مسعد




دار المصوّرات للنشر
الخرطوم غرب،
شارع الشريف الهندي
المتفرع من شارع الحرية
ت: 0912294714

# سلطنة دارفور
## تاريخها وبعض مظاهر حضارتها

سلسلة كتاب المصوّرات (٥)

الكتاب: سلطنة دارفور: تاريخها وبعض مظاهر حضارتها.

المؤلف: مصطفى محمد مسعد

تاريخ النشر: الطبعة الثانية ٢٠١٦م

رقم الايداع: ٢٠١٥/١٧٥٦٨

التحرير: محمد عمر نصر

مراجعة: سلمى النور أبو سمرة

تصميم الغلاف: محمد الصادق الحاج

المدير المسؤول: أسامة عوض الريح

الناشر: دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع



الخرطوم غرب،

شارع الشريف الهندي

المتفرع من شارع الحرية

ت: +249912294714

banaga1985@yahoo.com

كتاب المصورات

5

# سلطنة دارفور

## تاريخها وبعض مظاهر حضارتها

مصطفى محمد مسعد



دار المصورات للنشر
والطباعة والتوزيع
2016

# سلطنة دارفور

## تاريخها وبعض مظاهر حضارتها

تأليف: مصطفي محمد مسعد

شهد القرن السابع عشر الميلادي، قيام سلطنة إسلامية في إقليم دارفور. ولم تلبث هذه السلطنة -التي عرفت باسم هذا الإقليم- أن احتلت مكاناً بارزاً بين مجموعة الممالك السودانية الإسلامية الواقعة على طول نطاق السافانا، بين الصحراء الكبرى ومصر في الشمال، وبين الغابات الاستوائية في الجنوب. وتمتد من البحر الأحمر شرقاً، إلى المحيط الأطلنطي غرباً، وتشمل ممالك سنار، وكردفان، ودارفور، وواداي، وبجرمى والكانم -أو برنو- وممالك الهوسا، ثم مملكة مالي.

ويتصف الإقليم الذي قامت فيه سلطنة دارفور بصفات طبيعية خاصة ناشئة من الوضع الجغرافي لهذا الإقليم. ففي الشمال ينتهي إقليم دارفور عند الصحراء الليبية، وهذه الصحراء تمتد إلى البحر المتوسط في مساحات غير ذات ماء أو زرع، تمثل حاجزا مانعاً لامتداد الفور شمالاً، ما عدا بعض الواحات الجنوبية التي استطاع الفور الوصول إليها، وبسط نفوذهم عليها في بعض الأحيان. وفي شرق إقليم دارفور سلسلة

عريضة من التلال الرملية تعرف بالأقواز، وهذه تحجز بينها وبين جارتها كردفان. وفي جنوبي دارفور حاجز من نوع آخر هو بحر العرب، والمنطقة التي ينتشر فيها ذباب تسى تسى، وهذه المنطقة تمنع الفور من الانتشار في هذا الاتجاه. أما من الناحية الغربية من إقليم دارفور، فليس بينها وبين المساحات الممتدة غرباً مثل واداى وبجرمى ومنطقة تشاد حواجز جغرافية، ولا فروق جوية أى نباتية، بل خضعت حدود دارفور من تلك الناحية، أما لعوامل سياسية أو قبلية.[1]

وينقسم إقليم دارفور من حيث التضاريس إلى ثلاث مناطق عرضية: ففي الشمال منطقة براري وسهوب تتخللها تلال وأودية ذات أشجار وأعشاب، وأهلها من البدو وأشباه البدو، وقوام حياة هؤلاء وأولئك الجمل. وفي الوسط منطقة جبلية أكثر مطراً بالقياس إلى المنطقة الشمالية، وتقوم حياة أهلها على الزراعة. وفي الجنوب منطقة رعوية كثيرة الأمطار، وقوام حياة أهلها تربية الماشية. ولعل أبرز ظاهرة طبيعية في إقليم دارفور هي سلسلة جبال أشهرها جبل مرة، وهذه تخترق البلاد من الشمال إلى الجنوب، وتصل أعلي قممها في الجنوب إلى عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر.[2]

ويؤدي إلى إقليم دارفور طريقان صحراويان: أولهما درب الأربعين من أسيوط، وثانيهما الطريق الليبي والطرابلسي، ويستغرق نيفاً وأربعين يوماً. وظل هذان الطريقان، وسيلة الاتصال التجاري والحضاري فيما بين دارفور ومصر وطرابلس، عبر الأجيال والعصور حتى العصر الحديث، حيث

1. Lampen, G.D: "History of Darfur". S.N.R., XXXI, part II.

2. Ibid: Op. cit., p. 178.
C\f. Arkell, A.J.: "The History of Darfur". S.N.R. XXXII, part I, pp. 38-39.

امتدت السكة الحديدية من الخرطوم إلى الأبيض، وأخيراً إلى نيالا، فتغيرت وسائل النقل، وبطل استعمال هذين الطريقين القديمين.[3]

ويتصف إقليم دارفور كذلك بصفات بشرية خاصة منشؤها تعدد سلالاته، واختلاف ثقافات سكانه، ذلك أن هذا الإقليم تتنازعه سلالات بشرية مختلفة، بعضها قديم، وبعضها الآخر مهاجر إليه من الشمال أو من الشرق أو من الغرب، مما أدى إلى تعقيده جنسياً وثقافياً، ولو أنه شملت جميع سلالاته تقريباً، الثقافة العربية والديانة الإسلامية. غير أن تأثر سلالاته بالثقافة العربية والديانة الإسلامية، تختلف عمقاً وسطحاً من سلالة إلى أخرى حسب نشأة كل منها، ومدى قدمها أو قرب عهد هجرتها واختلاطها بالعرب الطارئين. ويبدو مدى التعقيد الجنسي والثقافي في إقليم دارفور، إذا علمنا أنه يشتمل على نحو ثماني عشرة سلالة غير عربية[4]، تتحدث إثنتا عشرة لغة مختلفة، بالإضافة إلى اللغة العربية التي تعرفها الغالبية العظمي من سكان دارفور.[5]

ومما لا شك فيه أن الفور هم أصحاب البلاد الأصليون، ويستقلون بالمنطقة الجبلية الوسطي وبها جبل مرة[6]. ومنذ حوالي القرن السابع الميلادي وفد على هذا الإقليم قبائل من الشمال عن طريق النيل من ناحية، وعن طريق الصحراء من

3. Balfour-Paul, H.G.: History and Antiquities of Darfur p. 2. Lampen, G.D. Op. Cit., p. 178.

4. MacMichael, H.A.: A History of the Arabs in the Sudan, Vol I. pp. 52-89, Lampen, G.D. Op. Cit., p. 181.

5. Arkell, A.J.: Op. Cit., p. 51.

6. MacMichael, H.A.: Op> Cit., p.91. Lampen, G.D.: Op. Cit., pp. 181-182.

ناحية أخرى. فمن ناحية النيل جاءت جماعات نوبية من الميدوب والبرقد، على حين جاءت جماعات ليبية من البدايات والزغاوة من شمال إفريقيا. واستطاعت هذه القبائل النوبية والليبية، بفضل ما امتازت به من الغلبة العقلية وما لديها من وسائل حربية جديدة، أن تطرد جماعات السود إلى الجبال، وأن تقيم في هذه المنطقة ممالك خاصة. وأدت هذه الهجرات الشمالية كذلك إلى ازدياد تجارة الرقيق، كما يشير إلى ذلك الإدريسي المتوفى سنة 1153م.[7]

أما الهجرات العربية الرئيسية إلى هذا الإقليم، فيبدو أنها جاءت من مصر وشمال إفريقيا عبر السهوب والبراري الواقعة بين النوبة وإقليم تشاد، وذلك بعد أن قامت في مصر وشمال إفريقيا دول إسلامية مستقلة كالطولونيين والإخشيديين، والأدارسة والفاطميين والمماليك، وبني مرين، وبني حفص. والمعروف أن القبائل العربية التي هاجرت إلى إقليمي كردفان ودارفور كانت تحترف رعي الإبل، ولما انتقلت جماعات منها إلى الجنوب، لم تلبث أن استبدلت البقر بالإبل، ومن ثم عرف هؤلاء بالبقارة، على حين ظل أبناء عمومتهم في الشمال يرعون الإبل.[8]

وعلى الرغم من أن قبائل البقارة والأبالة في كردفان ودارفور تضم بطوناً من قبائل عربية من غير جهينة، إلا أنه غلب عليهم جميعاً النسب إلى جهينة[9]. والمعروف أن الأقاليم التي احتلتها القبائل الجهنية وغيرها لم تكن خالية من السكان، بل اشتملت على عناصر حامية في الشمال وعناصر زنجية أو شبه زنجية في الجنوب. ولذا فإن اختلاط القبائل الجهنية من الأبالة بالعناصر

---

7. C\f. Balfour-Paul, H.G.: Op. Cit., p. 7.

8. Lampen, G.D.: Op. Cit., pp. 182.

9. راجع محمد عوض: السودان الشمالي، ص 250–209.

الحامية في الشمال، لم يؤثر كثيراً في صفاتها الجسدية، على حين أن القبائل الجهنية التي انتقلت جنوباً، وهي البقارة، اكتسب أفرادها بعض الصفات الزنجية لاتخاذهم زوجات وإماء من الزنجيات. ومع أن البقارة لم يكونوا أقوى عنصر في دارفور فإنهم استطاعوا أن يشطروا هذا الإقليم شطرين، فاحتلوا السهول الواقعة جنوبي جبال مرة، وحصروا الفور شمالا في منطقة الجبال حيث بقوا أجيالاً بعد أجيال، على حين دفعوا قبائل الشط والبنجا والبندا والفروجية جنوباً إلى إقليم المستنقعات شمالي بحر الغزال حيث عرفوا بإسم الفرتيت.[10]

وعلى هذا يمكن تقسيم سكان دارفور الحاليين إلى مجموعتين: إحداهما وهي المعروفة بالمجموعة غير العربية، والأخرى هي المجموعة العربية. أما المجموعة الأولي فإنها تضم -فضلاً عن الفور أهل البلاد الأصليين الذين يسكنون المنطقة الجبلية الوسطي- المساليط والإرنجا والقِمِر في الغرب، والزغاوة والقرعان والبدآيات في الشمال، والميدوب في الشمال الشرقي، والبرتي والبرقد في الشرق، والداجو والبيقو في الجنوب الشرقي، والفلاتا في الجنوب، والتنجور في الوسط.[11]

أما المجموعة العربية فإنها احتلت السهول وتضم الهبانية والرزيقات والمسيرية والتعايشة وبني هلبة والمعاليا في الجنوب، والحمر في الشرق، والزيادية في الشمال، والماهرية والمحاميد وبني حسين في الغرب.[12]

-----

10. Lampen, G.D.: Op. Cit., pp. 182-183.

11. Balfour-Paul, H.G.: Op. Cit., p. 7-8.
C\f MacMichael, H.A.: Op. Cit., p. 52-91

12. محمد عوض محمد: السودان الشمالي، ص 250-238.

أما عن تاريخ هذه البلاد، فليس لدينا عنه شيء مكتوب، ومن ثم فإن المعلومات القليلة التي وصلت إلينا خاصة بتاريخها تعتمد أساساً على الروايات الشفوية التي حفظها أهل البلاد جيلاً بعد جيل[13]. وهي روايات يكتنفها التناقض أحياناً، والغموض أحياناً أخرى، ولذا تعين على الباحث في تاريخ دارفور الرجوع إلى ما سجله، عن تاريخها ومظاهر حضارتها، الرحالة الذين زاروا هذه البلاد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد.

وأول أولئك الرواد الذين زاروا إقليم دارفور الرحالة الإنجليزي براون W.G.Browne[14]. وذلك في عهد سلطان دارفور السلطان عبد الرحمن الرشيد. وسلك براون في رحلته إلى دارفور طريق درب الأربعين من أسيوط إلى الفاشر، وظل في دارفور نحو ثلاثة سنوات من يوليو سنة 1793م إلى مارس سنة 1796م، إلا أنه ظل في أثنائها شبه سجين، فلم يسمح له بالتجول في البلاد أو جمع معلومات عنها بسبب ارتياب السلطان في نواياه باعتباره أوربياً مسيحياً، وفي المهمة التي من أجلها جاء هذا الأوربي المسيحي إلى دارفور. ثم أن براون لم يعثر في دارفور على تاريخ مدون لهذه البلاد، ولذا جاءت المعلومات التي استطاع الحصول عليها من أهلها قليلة سطحية يشوبها الاضطراب وعدم العمق، وذلك باستثناء بعض ملحوظات خاصة بأحوالها الاقتصادية وقتذاك.[15]

وبعد حوالي سبع سنوات من رحلة براون إلى دارفور، أي في عام 1803م، زار هذه البلاد رحالة عربي هو محمد بن عمر التونسي، وأتيح للتونسي أن يلم إلماماً واسعاً بأحوال دارفور

---

13. Batrh, W.G.: Travels in central Africa, Vol. III, p. 425.

14. Browne W.G.: Travels in Africa, Egypt and Syria.

15. Arkell, A.G.: Op. Cit., p. 40.

الاجتماعية والاقتصادية ونظمها السياسية والإدارية والحربية، وعلاقاتها بجيرانها، فضلاً عن ذكر تاريخها في كتابه القيم: «تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان».[16]

وفي المدة من عام 1849م إلى عام 1855م قام الرحالة المعروف هنري بارت Henry Barth برحلته المشهورة من طرابلس الغرب إلى بحيرة تشاد، وقد ارتاد خلال هذه المدة بلاد السودان ما بين تمبكت وبجرمي. والمعروف أن بارت لم يقم بزيارة دارفور أو واداى، ولكنه استطاع-أثناء مقامه في برتو-ان يجمع نتفاً قليلة عن تاريخ هذه الأقاليم معتمداً في ذلك على بعض الروايات الشفوية التي نقلها عن أهل البلاد أنفسهم، فضلاً عن إشارات قليلة لبعض المؤلفين القدامى من العرب.[17]

وفي عام 1874م وصل الرحالة الألماني جوستاف ناختيجال Gustav Nachtigal إلى دارفور، بعد أن أنفق ستة أعوام تقريباً في رحلته التي بدأها من طرابلس الغرب متجهاً إلى دارفور، عن طريق بحيرة تشاد وبجرمى وواداى. وفي مدينة الفاشر، عاصمة دارفور وقتذاك، قضى ناختيجال ستة شهور جمع أثنائها كل ما استطاع جمعه من روايات شفوية ومكتوبة عن تاريخ دارفور الوسيط، بمساعدة السلطان إبراهيم بن محمد حسين، وأحد الأمراء الفوراويين واسمه باسى طاهر. وعلى الرغم من هذا فإن ناختيجال لم تتح له الفرصة الكاملة لدراسة إقليم دارفور دراسة كافية تتفق ومواهبة الفذة. ذلك بأن السلطات الحاكمة في دارفور لم تسمح له بالتجول في أنحاء البلاد، فلزم الطريق الرئيسي الذي يقطع دارفور من الغرب إلى الشرق. ثم أنه جمع بياناته عن دارفور في مدينة الفاشر. وقد يكون هذا راجعاً إلى

---

16. التونسي: تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان. تحقيق: عساكر ومسعد.

17. Barth, H.: Travels in Central Africa Vol. III, pp. 528-553.

ارتياب السلطات في مهمته، لا سيما وأن الحكومة المصرية كانت تستعد آنذاك لضم دارفور إلى بقية أقاليم السودان التي كانت تحت إدارتها. وتقع رحلة ناختيجال المسماة Sahara und Sudan في ثلاثة أجزاء ضخمة، أشرف المؤلف بنفسه على نشر الجزئيين الأولين منها ومات قبل أن يراجع ما أملاه من مذكرات خاصة بالجزء الثالث، وهو الجزء المتعلق بواداى ودارفور. فقام أحد أصدقائه بإخراج هذا الجزء من مذكراته. ورغم القصور الذي لازم الجزء الأخير من رحلته إلى واداى ودارفور فانه يعد مصدراً اصيلاً لتاريخ هذين الإقليمين، ولا سيما ما يتعلق بتاريخ الأسرة الحاكمة في دارفور، ونظم البلاد السياسية والإدارية في عصره.(18)

هذا عرض موجز للرحالة الذين أسهموا بجهودهم في محاولة اجلاء بعض ما غمض من تاريخ سلطنة دارفور. وسواء أكان الهدف من هذه الرحلات التي قام بها أولئك الرحالة، خدمة مصالح استعمارية، أو البحث عن الحقيقة وخدمة العلم، فإنهم كانوا جميعاً -باستثناء محمد بن عمر التونسي- موضع ارتياب السلطات الحاكمة في دارفور وقلقها، فلم يتمكنوا من التنقل بحرية في أنحاء البلاد، ومن ثم لم يتيسر لهم دراسة أحوال البلاد دراسة كافية.

أما محمد بن عمر التونسي فيختلف عن أولئك الرحالة الأوربيين. فهو تونسي الأب والجد، مصري الأم والتربية. أفادته عروبته في الوصول إلى دارفور موطن كثير من القبائل العربية التي تربطه وإياها رابطة الأصل واللغة والدين، وتربطه بأهلها من السودان -ومعظمهم وقتذاك من المسلمين- العروة الإسلامية الوثقي. صحيح أن محمد بن عمر التونسي لم يذهب

18. Arkell, A.J.: Op. Cit., pp. 43-47.

إلى دارفور حباً في الاستطلاع أو الدراسة أو الكشف الجغرافي، ولكنه ذهب للحاق بأبيه عمر التونسي الذي كان رحل إلى سنار ثم إلى دارفور، ومن قبل رحل جده سليمان إلى سنار. وأفاد محمد بن عمر التونسي في الإلمام بأحوال البلاد السياسية والاجتماعية والتاريخية، علاقة ابيه وجده من قبل بهذه البلاد التي صاهرا أهلها، وأضحى لمحمد بن عمر التونسي فيها إخوة وأعمام. وقد اشتغل هؤلاء جميعاً بالعلم والتجارة، وتنقلوا بين تونس ومصر والحجاز وسنار ودارفور ووادای. وصارت لهم مصالح تجارية واسعة، ومراكز سياسية مرموقة، ومكانة دينية عظيمة عند ملوكها وفقهائها. ومما لا شك فيه أن خبرة هؤلاء جميعاً تضيف كثيراً إلى ما اكتسبه محمد بن عمر التونسي نفسه من خبره بأحوال هذه البلاد خلال اقامته بها. ومما يَسَّرَ للتونسي التعرف على نواحي الحياة في البلاد، سهولة التخاطب مع كافة الطبقات باللغة العربية التي لا يجهلها سوي القليل من أهل دارفور. وأتيح للتونسي، بما ناله أبوه عمر من مكانه لدى السلطان والأمراء والوزراء والفقهاء وكبار التجار كذلك، أن يكون من ذوي الحظوة لديهم جميعاً، فحضر مجالس السلطان ووقف على كثير من أسرار السياسة وتقاليد البلاط، ونظم الحكم والإدارة والقضاء، وشهد بنفسه بعض الحوادث السياسية والحربية الهامة. وأتيح للتونسي أن يتجول في كل أنحاء دارفور في حرية تامة، وأن يمر بمدنها وقراها وأسواقها، وأن يدخل المناطق الجبلية الوعرة التي لا يسمح لأحد الدخول فيها إلا بإذن من السلطان، وهي المناطق التي يسكنها «أعجام الفور» على حد قول التونسي. ولذا تتميز كتابات التونسي عما شهد في هذه البلاد -رغم حداثته وقتذاك- بالدقة وقوة الملاحظة، والقدرة على النفاذ إلى أعماق الأمور. وبذا استطاع التونسي أن يدرس حياة الناس على اختلاف سلالاتهم وطبقاتهم ولغاتهم دراسة علمية دقيقة.

حاول بعض الباحثين التعرف على مراحل تاريخ دارفور القديم ولكن جهودهم في هذا الميدان لم تأت بنتائج ذات بال. ومن ثم فإننا لا نعرف عن تاريخ دارفور القديم شيئاً على وجه التحقيق، وربما تكشف الأبحاث الأثرية في المستقبل عما غمض من تاريخ ذلك العصر.

ويظهر أن ثمة علاقة نشأت بين إقليمي كردفان ودارفور من ناحية، وبين دولة كوش من ناحية أخرى. وربما كان هذا هو السر في أن الجماعات التي تتحدث اللغة النوبية في كردفان ودارفور تحاول دائماً أن تستعيد ماضيها وعلاقتها بدولة كوش بتمسكها بأصلها القديم، باعتبارهم «أهل كوش» أو «ناس كوش» أو «كاش» التي تقابل «كاج». ومن هؤلاء جماعات «كاجدى Kajiddi» في الطرف الجنوبي من جبل «كاجا» في شمال كردفان. ويزعم هؤلاء الكاجدى انهم أتوا من ناحية الشرق بقيادة مَلكة، وان هذه المَلكة مدفونة في جبل قريب من جبل كابويجا Kaboija في الطرف الجنوبي الشرقي من جبل ميدوب. وليس من المستبعد أن تكون الأسرة المالكة في كوش، أو في فروع منها، لجأت إلى الأقاليم الغربية من دولتهم المنهارة عقب سقوط عاصمتهم مروي في منتصف القرن الرابع الميلادي علي يد عيزانا ملك اكسوم، وأن الجماعات التي تتحدث اللغة النوبية في كردفان ودارفور ترجع أولي هجراتها إلى هذا العهد[19].

وتذكر روايات أهل البلاد أن الداجو أول من أسس دولة في إقليم دارفور، ثم تلاهم التنجور، ثم أسرة كيرا من الفور، ومن هذا الاسم الأخير جاء اسم سلطنة دارفور.

اما الداجو فأصلهم غير معروف تماماً، ويذكر الرحالة بارت

19. Arkell, A.J.: "The History of the Sudan, pp. 174-178.

أنهم كانوا في زمنه (1849-1855م) يطلقون على أنفسهم «ناس فرعون» ويرى أنهم جاءوا من إقليم فازوغلى جنوبي سنار[20]. على حين أن آركل -اعتماداً على ما ذكره براون- يري أنهم من البربر جاءوا من الشمال، من تونس[21]. أما التونسي فيجعلهم أحد الشعوب الخمسة القديمة الرئيسية لسكان دارفور[22]. والراجح أن الداجو سلالة سودانية قديمة، غير أنهم مدينون في قيام دولتهم هذه إلى مهاجرين أرقي منهم حضارة، وأنشأ أولئك المهاجرون طبقة حاكمة خضع لها الداجو. وليس من المعروف تماماً مصدر هذه الطبقة الحاكمة، ويغلب على الظن أنها جاءت من الشرق، أي من وادي النيل، فان توزيع جماعات الداجو وامتدادهم من الشرق إلى الغرب قد يساعد على هذا الاستنتاج، ذلك أن للداجو مواطن موزعة بين كردفان ودارفور وداصليح وفي إقليم بحيرة تشاد.[23]

ويذكر كل من Arkel[24]، Palmer[25] أن الداجو هم «التاجوين» الذين ورد ذكرهم في مؤلفات الإدريسي وابن سعيد والمقريزي وابن خلدون، وأنهم كانوا يقطنون في المدة بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر على مقربه من قبيلة الزغاوة وغربي الواحات المصرية، بين النوبة في الشرق والكانم في الغرب.

وأشار الإدريسي إلى مدينتين في بلاد التاجوين أو الداجو: إحداهما تاجوه وهي غير معروفة، والأخرى سمنة. وربما كانت

---

20. Barth, H.: Op. Cit., p. 426.

21. Arkell, A.J.: Op. Cit., pp. 174-178.

22. التونسي: تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان. ص 127.

23. MacMichael, H.A.: Op. Cit., pp. 71-76.

24. Palmer, H.R.: Bornu, Sahara and Sudan, p. 212.

25. Arkell, A.J.: S.N.R., XXXII, Part 1, pp. 62-70.

هذه البلدة الأخيرة تقع في تلال سيميات على بعد عشرين ميلاً شرقي مدينة الفاشر الحالية، حيث تعيش جماعة تعرف بهذا الاسم. ثم انتقلت جماعة سيميات إلى حدود واداى، وهناك عرفوا باسم سيميار Simyar ويزعم هؤلاء الانتساب إلى الداجو القدماء. ويذكر الإدريسي أن أولئك التاجوين -الداجو- «مجوس لا يعتقدون شيئاً».[26]

أما التنجور -الذين تذكر روايات أهل البلاد أنهم خلفوا الداجو في حكم دارفور- فقد اختلفت الآراء حول أصلهم. فقيل إنهم من عرب بني هلال من شمال إفريقيا[27]، ورأي آخر يقول إنهم من بقايا العباسيين الذين هاجروا إلى السودان بعد زوال دولتهم[28]. ويذكر بارت أن التنجور من النوبيين الذين هاجروا من دنقلة إلى دارفور ومدوا نفوذهم على واداى، وأرغموا الكانم أحياناً على دفع الجزية[29]. ويرى آركل أن التنجور من التبو، وأنهم هاجروا من إقليم تبستى تحت ضغط بني هلال في شمال إفريقيا، ومن ثم حدث خلط في النسب بين التنجور وبين بني هلال[30]. أما ماكمياكل فلا ينفي صلة التنجور ببنى هلال، ولا يستبعد أن تكون بعض العناصر النوبية والعربية من بنى هلال هاجرت من بلاد النوبة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد إلى دارفور، حيث عرفوا بإسم التنجور. ومما يؤيد صلتهم ببلاد النوبة أن إسم تنجور في اللغة النوبية معناها قوس، وهو الإسم الذي عرفت به بلاد النوبة في العصور القديمة «تاستى» أي بلاد القسسى. ثم أنه لا يزال هناك مكان جنوبي وادي حلفا

26. الادريسي: المغرب وارض السودان ومصر والاندلس. ص 12.

27. Slatin: Fire and Sword in the Sudan, p. 38.

28. Clf Balfour-Paul, H.G.: Op. Cit., p. 10.

29. Barth, H.: Op. Cit., pp. 429-430.

30. Arkell, A.J.: S.N.R., XXXII, pp. 207-218.

الحالية يحمل إسم تنجور حتى الوقت الحاضر[31]. وكيفما كان الطريق الذي سلكه التنجور إلى إقليم دارفور، أو درجة الصحة في انتمائهم إلى العرب أو النوبيين أو التبو، فالمعروف أن أولئك التنجور لم تكن لهم -في المائتي سنة الاخيرة- لغة سوى اللغة العربية[32]، ومهما قيل في شأن اللغة التي كانوا يتحدثون بها من قبل، أو أنهم نسوا اللغة القديمة وتمسكوا بالعربية، فإن هذا لا ينفى -على الأقل- صلتهم بالعناصر العربية، التي كانت فيما يبدو تمثل طبقة حاكمة تعتمد على قاعدة من العناصر غير العربية، قد تكون من النوبة أو من البدايات.

ومعظم الآثار التي عثر عليها في مدينتي أورى وعين فرح بشمال دارفور تنسب إلى التنجور، ويدل هذا على أن التنجور بسطوا نفوذهم على شمال دارفور ولم يمتد إلى جنوبها. ومن المحتمل أن مملكتي الداجو والتنجور قامتا جنباً إلى جنب حتى القرن السادس عشر الميلادي. وتدل بقايا آثار المساجد والقصور الملكية المبنية بالطوب الأحمر على أن الإسلام امتد إلى دارفور على عهد التنجور. غير أن سلطان التنجور لم يستمر على ما تغلبوا عليه في دارفور طويلاً. وربما كان مرجع ذلك إلى أن ضغطاً وقع عليهم من الشمال، أو إلى أنهم توسعوا في بسط نفوذهم حتى وصلوا غرباً إلى واداى، وبذا تخلخل سلطانهم على دارفور بعد مضى قرنين من مقدمهم إليها.[33]

وعلى الرغم من أن الإسلام أخذ يشق طريقه إلى هذه البلاد منذ حوالي القرن الثالث عشر الميلادي على الأقل، حيث أخذت تنهال عليه الهجرات العربية من الشمال والشرق والغرب، فإن

31. MacMichael, H.A.: Op. Cit., p. 66.

32. Balfour-Paul, H.G.: Op. Cit., p. 10.

33. Lampen, G.D: Op. Cit., p. 183.

الإسلام لم يصبح الدين الرسمي للبلاد إلا حين تولى سليمان سولونج من أسرة كيرا عرش سلطنة دارفور حوالي عام 1640م. أما كيف انتقل الملك من التنجور إلى أسرة كيرا من الفور؟ فهذا موضوع اختلفت فيه الآراء كذلك.

يذكر التونسي أن الفور -سكان جبل مرة الأصليين- ينقسمون إلى ثلاث شعب هي: الكنجارة والتموركة والكرا كريت[34]. لكن الكنجارة يمتازون على غيرهم من الفور بوجود الدماء العربية في عروقهم[35]. وتذكر روايات أهل البلاد أنه وفد على بلاد دارفور قبل القرن السابع عشر الميلادي جماعة من عرب بني هلال بقيادة أحمد المعقور من نسل أبي زيد الهلالي، وصاهروا الكنجارة، ونشأ في الكنجارة أسرة تسمي أسرة كيرا استطاعت بقيادة زعيمها سليمان سولونج أن تؤسس سلطنة دارفور[36]. ومن ثم رواية تقول إن سليمان سولونج عربي من قبيلة بني هلال وتزوج أميرة من الفور[37]. ورواية ثالثة تقول إنه ابن أحمد المعقور من بني هلال أو من سلالته[38]. ورواية رابعة تقول إنه سبق حكم سليمان هذا أربعة عشر سلطانا يحملون أسماء عربية[39]. ومما زاد هذه الروايات اضطراباً إدعاء كل من الكنجارة والتنجور الانتساب إلى بني هلال.

والراجح أن الكنجارة -وهم خليط من العرب والفور- صاهروا التنجور، ونشأ عن هذه المصاهرة ظهور أسرة كيرا،

34. التونسي، نفس المصدر، ص 132.

35. MacMichael, H.A.: Op. Cit., p. 91.

36. Balfour-Paul, H.G.: Op. Cit., p. 92.

37. شقير: (نفس المصدر 2، ص 112).

38. Nachtigal, G.: Op. Cit.: Vol. III, pp. 256-360.

39. MacMichael, H.A.: Op. Cit., p. 92 n.

وهي الأسرة التي انتزعت حكم دارفور من التنجور. ويبدو أن السلطان دالي أول سلاطين هذه الاسرة، ثم خلفه ابنه كورو ثم سليمان سولونج. وظلت هذه الأسرة تحكم دارفور حتى نهاية حكم علي دينار عام 1916م.

### السلطان سليمان سولونج (1610-1670م):

يغلب على الظن أن سليمان كان من أب أجنبي وأم من كيرا، وعلى كل حال فان لقب سولونج -الذي عرف به سليمان- معناه في لغة الفور «العربي» أو من يتكلم العربية أو من يدين بالإسلام دين العرب[40]. وفي هذا دليل على اتصال سليمان بالنسب العربي.

نشأت أسرة كيرا هذه في ترة على مقربة من جبل مرة بأواسط دارفور. وفي هذه المنطقة عثر على بقايا قصور حصينة ترجع إلى عهد أولئك السلاطين الثلاثة الذين بدأ بهم بيت كيرا، والى الشرق من ترة توجد بقايا قصر آخر ينسب إلى زعيم اسمه توتسام[41]. وتذكر روايات الفور أن توتسام هذا كان أخاً لسليمان ويبدو أنه كان يريد السلطنة لنفسه، فحاربه سليمان سولونج وهزمه وطرده من دارفور. فلجأ هذا الزعيم الطريد إلى كردفان وهناك أسس سلطنة المسبعات[42]. ويقال إن المسبعات في لغة الفور معناها «الناس الذين ذهبوا إلى الشرق».[43]

---

40. Lampen, G.D: Op. Cit., p. 185, MacMichael, H.A.: Op. Cit., p. 92.

41. MacMichael, H.A.: Op. Cit., p. 93.

42. Ibid: Op. Cit., klf. Arkell, A.G.: S.N.R., Vol XXXII, Part I, p. 46.

43. Ibid: Op. Cit., p. 46.

اتخذ سليمان سولونج بلدة نامى في إقليم ترة عاصمة لدولته، ومن هذه المنطقة قام سليمان بعدة حملات حربية على ما جاوره من أقاليم. واستطاع سليمان بعد معارك بلغ عددها ثلاثاً وثلاثين أن يحقق للبلاد وحدتها، وأن تخضع لسلطانه جماعات البرقد والزغاوة والبرتي والبيقو وبعض المساليط، كما قضى على محاولة قام بها التنجور لاسترداد مُلكهم المسلوب. ثم تفرغ سليمان لبناء سلطنته على أسس سلمية باستئناف حركة نشر الإسلام التي يحتمل أن يكون أصابها الركود أثناء فترة الحروب الأهلية.[44]

وفيما يلي قائمة بأسماء سلاطين دارفور. من سليمان سولونج فصاعداً:

1. سليمان سولونج (1610-1670م).
2. موسى بن سليمان سولونج (1670-1682م).
3. أحمد بكر بن موسى (1682-1722م).
4. محمد دورا بن أحمد بكر (1722-1732م).
5. عمر ليل بن محمد دورا (1732-1739م).
6. أبو القاسم بن أحمد بكر (1739-1752م).
7. محمد تيراب بن أحمد بكر (1752-1787م).
8. عبد الرحمن الرشيد بن أحمد بكر (1787-1802م).
9. محمد فضل بن عبد الرحمن الرشيد (1802-1839م).
10. محمد حسين بن محمد فضل (1839-1874م).

44. Lampen, G.D: Op. Cit., pp. 184-185.

11. إبراهيم بن محمد حسين (1874-1875م).

## السلطان موسي (1670-1682م):

لم تذكر عنه روايات الفور شيئاً يستحق الاهتمام. ويبدو أن هذا السلطان كان ميالاً إلى السلم، على عكس أبيه سليمان، غير أنه اضطر مع هذا إلى أن يحارب جماعات القِمِر والمسبعات.[45]

## السلطان أحمد بكر (1682-1722م):

حكم هذا السلطان بلاد دارفور أربعين عاماً. واحبته رعيته لما اشتهر عنه من الحزم، وإليه يرجع الفضل في تعميم الإسلام في بلاد دارفور. ويبدو أن الإسلام في عهد سلفه لم يتعد الأسر المالكة أو الأسر الكبيرة التي اتصلت بالنسب العربي. ولذلك اعتني هذا السلطان ببناء المساجد والمدارس، واستقدم عدداً من المشايخ من مختلف البلاد الإسلامية ومنحهم أراض وأعفاهم من الضرائب. عاش السلطان أحمد بكر مدة في بلدة قرلى في دار كرنة، ثم تنقل ببلاطة وحاشيته إلى بلدة مرة في دارفيا، ثم إلى أبو عسل في منطقة ترة. ولم يخل حكم هذا السلطان من حروب، أولها حرب دامت سبع سنوات لإخضاع جماعات القِمر، واستعان أحمد بكر بأمراء المماليك في مصر لإمداده بالأسلحة لدفع إغارات أهل واداى بقيادة ملكهم عاروسى على حدود دولته فأحرز عليهم نصراً عند كبكابية[46]. ويبدو أن إسم كبكابية

45. Ibid: Op. Cit., p. 185.

46. Nachtigal, G.: Op. Cit.: p. 367. C\f El Tunsi: Voyage au Ouday, pp. 77-82.

مستمد من إسم هذه المعركة. وذلك أن لفظ كبكابية -في لغة الفور- مركب من كلمتين كبي-كابية ومعناها «ألقوا دروعهم هاربين».[47]

## محمد دورا (1722-1732م):

ورث هذا السلطان عن أبيه أحمد بكر شجاعته وحزمه، لكنه أضاف إلى هاتين الصفتين صفة القسوة والوحشية بدليل قتله كثيرا من أخوته، وشنه الحرب على إبنه موسي عنجريب. وتوفي محمد دورا هذا بعد مرض طويل بداء البرص.[48]

## عمر ليل (1732-1739م):

خلف أباه السلطان محمد دورا على عرش دارفور. ويقول شقير إنه من أعدل سلاطين دارفور وأشدهم محافظة على الكتاب والسنة[49]. ونقل عمر فاشره إلى بلدة كوجورما على بعد عشرين ميلاً غربي كبكابية. ويذكر لامبين Lampen انه لقب بعمر ليل، أي عمر الخمار لأنه كان قاسياً، فضلاً عن أطماعه الحربية التوسعية في إقليم واداى والتي أدت إلى ضجر أهل دارفور من حكمه. ومات السلطان عمر أسيراً في واداى.[50]

---

47. شقير: نفس المصدر ص 115.

48. Lampen, G.D: Op. Cit., p. 185.

49. شقير: نفس المصدر ص 115.

50. Lampen, G.D: Op. Cit., 00. 185-186.

### أبو القاسم (1739-1752م):

هو ابن السلطان أحمد بكر. خلف ابن أخيه عمر ليل في حكم دارفور، وبدأ عهده بمحاباة طبقة الأرقاء دون الأحرار، وامتلأت وظائف الإدارة والحكم بالعبيد، فكره الناس حكمه. وعزم على الانتقام لسلفه عمر ليل من أهل واداى. وأدي اختفاؤه وإشاعة قتله في المعركة إلى تنصيب أخيه محمد تيراب عرش السلطنة.

ولما ظهر أبو القاسم بعد شفائه على أيدي بعض الأعراب الذين آووه، أبىَ كبار رجال الدولة أن يتنازل تيراب لأخيه عن السلطنة، وما زالوا به حتى وافق على خنقه.[51]

### محمد تيراب (1752-1757م):

برهن السلطان محمد تيراب على أنه سلطان ممتاز، فاستحق من أجل ذلك الاحترام في الداخل والخارج. غير أنه أثار غضب بعض رؤساء القبائل في دولته لميله إلى جماعات الزغاوة التي كانت منها أمه، فعين خاله سلطاناً على فرع من فروع الزغاوة، كما عين عدداً من أفراد هذه القبيلة في المناصب العليا في دولته. وتنقل السلطان تيراب بفاشره بين قرلى وكوجورما وشوبا، وكلها تقع بالقرب من مدينة كبكابية. وربما كان الدافع له على ذلك مراقبة حركات أهل واداى بالقرب من الحدود الغربية لدولته. ثم نقل السلطان تيراب فاشره مرة رابعة إلى الريل جنوب شرقي دارفور، وذلك على إثر ثورة قامت بها جماعات البرقد ضده. ويرجع سبب هذه الثورة إلى ما شاع بين البرقد من أن السلطان تيراب يقوم ببيع بناتهم اللائي كان مفروض إلحاقهن بحريم

51. Nachtigal, G.: Op. Cit.: 00. 373–374.

السلطان وجواريه وخدمه[52]. وسواء أكان انتقال السلطان بفاشره إلى الناحية الجنوبية الشرقية من دولته بسبب ضغط هذه الثورة عليه أو الاستعداد لحرب الرزيقات والمسبعات، فالمعروف أنه قام بهذه الغزوات على هاتين الجماعتين بعد القضاء على ثورة البرقد.

أما عن حرب المسبعات، فإن التونسي شرح في كتابه علاقة سلاطين دارفور بسلاطين المسبعات شرحاً وافياً، وتعرض لتفاصيل هذه الحرب أسبابها ونتائجها. فيذكر التونسي أن سليمان سولونج الجد الأول لسلاطين دارفور كان له أخ اسمه المسبع[53]. واتفق الأخوان على تقسيم إقليمي دارفور وكردفان فيما بينهما. فكانت دارفور من نصيب سليمان، وكردفان من نصيب المسبع. وتعاهد الأخوان أن لا يخون أحدهما الآخر. وظل الأمر على هذه الحال في أعقابهما من بعدهما. ولما تولي السلطان تيراب عرش دارفور كان يلي كردفان من نسل مسبع السلطان هاشم المسبعاوي. فقام السلطان هاشم بشن الإغارات على أطراف سلطنة دارفور أملاً في غزوها. فبعث السلطان تيراب إلى قريبه السلطان هاشم رسالة جاء فيها: «بعد السلام. يا ابن عمي، أرسلت سراياك على أطراف بلادي وأنت تعلم ما بيننا من مودة، ولم يقع منا ما يخالف المودة، مع أنك تعلم أن الذين أخذت أموالهم مسلمون، والذين قتلوا موحدون، وهذا الفعل لم يبيحه (كذا) أحد، ولا يفعله عاقل، فاذا وصلك كتابي هذا فانته، وإلا سيلقي الباغي مصرعه والسلام». غير أن السلطان هاشم لم يستجب لهذا النداء وواصل عدوانه على دارفور. فاستعد

---

52. انظر التونسي: تشحيذ الأذهان ص 70-69.
Lampen, G.D: Op. Cit., p. 186.

53. لفظ المسبع هنا لقب لتوتسام اخي سليمان سولونج، ومعناها في لغة الفور: «الذي اتجه نحو الشرق».

السلطان تيراب لملاقاته بجيش كثيف، وعهد إلى ابنه اسحق أن يقوم مقامه في حكم دارفور أثناء غيابه عنها. وسار تيراب بجيشه قاصداً كردفان.[54]

أما السلطان هاشم فإنه لما علم بقدوم تيراب بجيش لا قبل له بمواجهته فر بحاشيته وأسرته إلى ملك سنار بعد أن فارقه أكثر رجاله[55]. وأخذ السلطان تيراب يطارد السلطان هاشم حتى وصل إلى قرب موضع أم درمان الحالية. وهناك التقي بجيش العبد اللاب من قبل ملك سنار. ونشبت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة العبد اللاب وفرارهم وظفر تيراب بنحاسهم المعروف بالمنصورة[56]. وكان لاستيلاء الفور على نحاس العبد اللاب -حلفاء الفونج بسنار- مغزى سياسي وحربي عظيم الأثر. واحتفظ سلاطين الفور بهذا النحاس من بعد، وغدا تجليد هذا النحاس والاحتفال به سنوياً، عيداً من أعياد الفور القومية.[57]

أما السلطان تيراب فإنه عزم على الزحف إلى سنار، لكنه لم يستطع عبور النيل، ومن ثم ظل في أم درمان مدة يدبر خلالها الوسائل لاجتياز النهور، فلم يفلح، فسئمت نفوس رجاله الانتظار وسألوه العودة إلى بلادهم، فلم يستجب لندائهم، وأقسم ألا يرجع إلى دارفور إلا برأس هاشم[58]. وهنا أخذ بعض رجال دولته يدبرون المؤامرات للتخلص منه. واشترك في هذه المؤامرات والد إحدى زوجاته ويدعي علي ود برقو. غير أن خبر

54. التونسي: تشحيذ الاذهان ص 86-78.

55. التونسي: نفس المصدر ص 80.

56. شقير: تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، ج2، ص 120.

57. التونسي: نفس المصدر ص 159-156.

58. شقير: نفس المصدر، ص 121-120.

هذه المؤامرة وصل إلى تيراب فتخلص من المتآمرين[59]. وظل السلطان تيراب مدة في أم درمان حتى مرض مرضاً شديداً فحمله رجاله وعادوا به إلى دارفور، ولكنه مات في بارة، فحنطوه وحملوه إلى جبل مرة ودفن في مقابر السلاطين بتره.

وعلى الرغم من أن السلطان تيراب كان رجلاً متنوراً ومثقفاً، وأنه كان دائب السعي إلى استيراد الكتب من مصر وتونس، إلا أنه أخذ عليه الميل إلى النساء والخمور، فضلا عن حب الحروب ذات المجهود الضائع، وعدم المبالاة بشعور قومه وكرامتهم. من ذلك ما يروي عن استهتار أولاده بشعور الناس. فقد كان الواحد منهم لا يسافر الا راكباً على ظهور الرجال بدلاً من الدواب، حتى ضاقت نفوس أهل دارفور منهم. ولما تقدم الناس بالشكوى إلى تيراب لم يلتفت إليها وقال: «إنى لأعجب كيف أن رعيتي لا تصبر على أولادي، فاذا أتوا أقل شيء لا يرضيهم شكوهم إليّ». فامتنع الناس عن الشكوى وسلموا أمرهم إلى الله. وربما كان هذا الضيق هو الذي جعل أهل دارفور يترددون في إقامة ابنه إسحاق في السلطنة من بعده، وذلك على الرغم من أنه أوصي بأن يؤول إلى إسحاق هذا ملك دارفور من بعده ولقبه بالخليفة. ولما توفي تيراب[60] كان بدارفور وقتذاك ثلاثة من أبناء السلطان أحمد بكر. وراي كل منهم أنه أحق من غيره ومن إسحاق بملك دارفور. واستغل هذه الحالة خصي يدعي محمد كرا ليمكن نفسه، وكان من المقربين في البلاط السلطاني. وكانت أولي خطواته في هذا السبيل أنه ساعد على تفضيل أصغر أبناء السلطان أحمد بكر، وهو عبد الرحمن الرشيد. فلما نجحت هذه الخطوة زحف هذا الخصي الماهر نحو البلاد التي أعتصم فيها

---

59. التونسي: نفس المصدر ص 83-81.

60. التونسي: نفس المصدر ص 80-79.
عُرف السلطان عبد الرحمن الرشيد باسم اليتيم كذلك.

إسحاق وهزمه تبلدية وتلدوا، وطارده إلى شمال دارفور، ثم لحقت بإسحاق الهزيمة النهائية غربي كبكابية. بذا صفا الجو للسلطان الجديد.[61]

## عبد الرحمن الرشيد (1787-1802م):

ويعتبر عصر عبد الرحمن الرشيد (1787-1802م) صفحة جديدة في تاريخ دارفور. إذ شجع هذا السلطان الجلابة الأجانب (التجار) على دخول دارفور، فازدهرت التجارة في عهده، ونشأت عدة مدن تجارية تضم وكالات للتجار[62] كما نشطت تجارة القوافل مع مصر عن طريق درب الأربعين[63]. ثم أن عبد الرحمن الرشيد شجع الفقهاء وأغدق عليهم. وكان عمر التونسي -أبو الرحالة المشهور محمد بن عمر التونسي- ممن ظفروا بعطف السلطان ورعايته، فمنحه اقطاعاً كبيراً في منطقة أبي الجدول[64]. وفي عهده زار الرحالة الإنجليزي براون دارفور، ثم زارها في عهد سلفه السلطان محمد فضل، الرحالة العربي محمد بن عمر التونسي، كما سبق أن ذكرنا. وسجل هذان الرجلان ملاحظاتهما عن أحوال البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية وقتذاك. ولذا كان عهد عبد الرحمن الرشيد أوضح عهود سلاطين دارفور.

جعل السلطان عبد الرحمن الرشيد فاشره في تندلتي[65]،

61. التونسي: ص 92. شقير: نفس المصدر، ص 121.

62. Browne W.G.: Op. Cit., pp. 234-236.

63. التونسي: نفس المصدر ص 52-38.

64. المصدر السابق ص 62.

65. التونسي: نفس المصدر ص 107-60.

وظلت تندلتي هذه -التي اشتهرت فيما بعد بإسم الفاشر- عاصمة السلطنة في عهده وعهد خلفه لتكون قريبة من إقليم كردفان وهو الإقليم الذي أصبح مجالاً لتوسع سلطنة دارفور وامتدادها شرقاً.

وأهم حادثة سياسية في عهد عبد الرحمن الرشيد حربه ضد السلطان هاشم في كردفان، وهو السلطان الذي كاد أن يمحو سلطنة دارفور بما أحرزه من انتصارات على جيوشها، لولا مهارة محمد كرا الذي جعله السلطان نائباً عنه في حكم كردفان بعد انتصاره على السلطان هاشم.[66]

ويبدو أن السلطان عبد الرحمن الرشيد كان شديد الحرص على استمرار سير القوافل التجارية بين مصر ودارفور. غير أن بعض امراء المماليك في مصر دأبوا على التعرض لهذه القوافل وتعطيل سيرها. ولذا فإن عبد الرحمن الرشيد بادر بتهنئة نابليون عقب وصول الحملة الفرنسية إلى مصر وانتصاره على أمراء المماليك، وذلك حرصاً من عبد الرحمن الرشيد على استمرار سير هذه القوافل، ولا سيما بعد أن أعلن نابليون احترامه للدين الإسلامي. فرد عليه نابليون بكتاب يطمئنه فيه على استمرار سير القوافل ويطلب منه إرسال ألفي عبد من العبيد الأشداء.[67]

وعلى الرغم من أن السلطان عبد الرحمن الرشيد كان موتورا من سلوك بعض أمراء المماليك، فإنه رحب بمقدم أحد أولئك الأمراء واسمه زوانا كاشف، وذلك حين هرب هذا المملوك من وجه الفرنسيين وطلب من السلطان حمايته. فمنحه السلطان إقطاعاً وسمح له ببناء قصر إلى جوار قصره. غير أن زوانا كاشف هذا فكر في إقامة نفسه سلطاناً على دارفور، وجمع حوله الأنصار

---

66. التونسي: نفس المصدر ص 122-21.

67. شقير: نفس المصدر ص 123-122.

واستعد لحرب عبد الرحمن الرشيدي. لكن السلطان تمكن من القبض عليه وقتله قبل أن يشرع هذا المملوك في تنفيذ ما دبر من خيانة وغدر.[68]

وفي هذا العصر لمع نجم شخصية فوراروية، لم تلبث أن احتلت مكانا بارزاً في تاريخ دارفور على عهد السلطان عبد الرحمن الرشيد وابنه السلطان محمد فضل من بعده. وإسم هذه الشخصية محمد كرا.[69]

التحق محمد كرا هذا -أول الأمر- بحرس السلطان تيراب، ثم غدا مشرفاً على تربية أولاده في القصر السلطاني[70]. ويقال إنه خصي نفسه بيده ليدفع عن نفسه تهمه خيانة سيده[71]. فألحقه السلطان بخدمة أحد وزرائه، فاظهر محمد كرا كفاية ممتازة، وتمكن بمهارته أن يساعد السلطان عبد الرحمن الرشيد في الوصول إلى عرش دارفور بعد وفاة أخيه السلطان تيراب[72]. فعينه والياً على إقليم كردفان بعد الاستيلاء على هذا الإقليم من هاشم المسبعاوي. ولقد اتهم محمد كرا أثناء ولايته على كردفان بعدم الولاء للسلطان عبد الرحمن الرشيد والسعي لانتزاع السلطة منه. فأرسل السلطان حملة إلى كردفان لإحضاره حياً أو ميتاً. ولما علم محمد كرا بما أمر به السلطان عبد الرحمن أحضر سلاسل ووضعها في يديه ورجليه وطلب إلى رجال الحملة أن يقودوه مقيداً إلى تندلتي الفاشر حيث يقيم السلطان. وبذا

---

68. التونسي: نفس المصدر ص 195-111.

69. لفظة كرا معناها في اللغة الفوراوية «الطويل».
التونسي: نفس المصدر ص 60-59.

70. التونسي: نفس المصدر ص 74.

71. المصدر السابق ص 75.

72. المصدر السابق ص 92-78.

اقتنع السلطان عبد الرحمن بولاء محمد كرا له فرفعه وقربه، وعينه في منصب الأب شيخ وهو أعظم المناصب قدراً في دارفور بعد منصب السلطان[73]. وكان من عادة الخصيان في دارفور أن يتزوجوا من أرامل ذوات أولاد، فيتبني أولئك الخصيان هؤلاء الأولاد لينتفي عنهم مذلة الخصاء ولو ظاهراً. ولم يشذ الأب شيخ محمد كرا عن هذه القاعدة، فتزوج من امرأة لها ابن اسمه شيلفوت (ومعناه في لغة الفور «خذ واذهب»). وكان شيلفوت هذا من الفرسان المعدودين، فاعتمد عليه الأب شيخ محمد كرا اعتماداً كبيرا في توطيد سلطانه.[74]

توفي السلطان عبد الرحمن الرشيد سنة 1802م تاركا إبناً صغيراً لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، وإسمه محمد فضل. وقد نجح الأب شيخ محمد كرا مرة ثانية في إقامة محمد فضل مقام السلطان المتوفي وذلك على الرغم من كثرة عدد المطالبين بعرش دارفور وقتذاك. وأعقب الأب شيخ هذا العمل بالقبض على المطالبين بعرش السلطنة وأنصارهم. ويقال إن عدد من قبض عليهم وقتلهم بلغ نحو ستين رجلاً. ولم يبق من أولئك المطالبين بعرش دارفور وأنصارهم سوى عدد قليل رأي الأب شيخ أن يسجنهم في جبل مرة[75]. وبذا أصبح الأب شيخ محمد كرا الحاكم المطلق في دارفور وطغي نفوذه على نفوذ السلطان وظل الأب شيخ على هذه الحال حتى دلالات السلطان محمد فضل يفكر في التخلص من وصايته عليه. فاعتصم الأب شيخ في ناحية من نواحي تندلتي-الفاشر. ولم يلبث أن صار سجيناً في تلك الناحية، ثم منع السلطان عنه الماء وشن عليه هجوماً انتهي

73. المصدر السابق ص 122--121.

74. المصدر السابق ص 239-68.

75. التونسي: المصدر نفسه ص 125-123.

بقتله وقتل ربيبه شيلفوت كذلك.[76]

## السلطان محمد فضل (1802-1839م):

اما السلطان محمد فضل (1802-1839م) فإنه استفتح عهده بتحرير قبيلة البيقو، التي كانت أمه منها، وحرم أخذ الرقيق وبيعه من هذه القبيلة. بيد أن السلطان محمد فضل اتصف من ناحية أخرى بالمغالاة في معظم نواحي حياته وأخلاقه، من حيث الانغماس في اللهو والتطرف في معاداة الناس. وازدادت هذه الصفات عمقاً في نفسه كلما تقدمت به الأيام، حتى صار أواخر عهده رجلاً قاسياً محباً للانتقام. وعرف عنه التطرف في معاملة القبائل العربية بالقسوة، وكاد أن يقضي على بني هلبة وعلى العريقات والرزيقات كذلك.[77]

وفي عهده استؤنفت الحرب بين دارفور ووداي، وانتهت هذه الحرب بصلح اشترك محمد بن عمر التونسي في المفاوضات التي أدت إلى عقده.

أما في الناحية الشرقية من سلطنة دارفور، ونقصد بها إقليم كردفان، فقد جرت فيها المقادير على عكس ما يشتهي السلطان محمد فضل. إذ ارتبط مصير هذه الولاية بمصير بقية أقاليم السودان الأخرى التي فتحها إسماعيل بن محمد علي سنة 1820-1821م. فلم تكد حملة إسماعيل تغادر دنقلة في طريقها إلى بربر ثم إلى سنار عاصمة مملكة الفونج، حتى قام قسم من الحملة الرئيسية بقيادة محمد بك الدفتردار -صهر محمد علي- لفتح كردفان. ولما علم المقدوم مسلم، والي كردفان

---

76. المصدر السابق ص 68-65.

77. Lampen, G.D: Op. Cit., pp. 187-188.

من قبل السلطان محمد فضل، بأمر هذه الحملة عقد العزم على مقاومتها معتمداً في ذلك على خيالة كردفان ومشاة دارفور. وتبادل الدفتردار والمقدوم مسلم الرسائل. فالأول يطالب بالتسليم صلحاً، على حين أن الثاني يصر على المقاومة مهما كلفه الأمر. وبذا لم يكن بد من الحرب والقتال. والتقي الفريقان بالقرب من باره حيث نشبت معركة بين قوتين غير متكافئتين من حيث نوع الأسلحة. فالقوات المصرية كانت تعتمد على الأسلحة النارية التي لم تكن معروفة في السودان حتى ذلك الحين. وبذا حلت بالمقدوم مسلم الهزيمة.[78]

وحاول السلطان محمد فضل استرداد كردفان، فلم يقدر له النجاح. وبذا غدا همه محصوراً وقتذاك في الدفاع عن دارفور ضد أي قوة يحتمل مجيئها من ناحية الشرق، ولا سيما بعد خروج أخيه الأمير أبي مدين عليه وهروبه إلى مصر.[79]

حاول هذا الأمير اقناع ولاة الأمور في مصر بفتح دارفور وتعيينه سلطاناً عليها، على أن يكون خاضعاً للحكومة المصرية ويؤدي اليها الخراج سنوياً. ولكن رؤي إرجاع الفتح مدة تستكمل خلال أعمال الاستطلاع والاستعداد. وإذا كانت حوادث الشرق أخرت التفكير في فتح دارفور وقتذاك، فإن هذا لم يمنع محمد علي من استعمال وسائل التهديد والترغيب لضم دارفور إلى بقية أقاليم السودان التي تديرها مصر. فبعث برسالة في عام 1830م إلى السلطان محمد فضل يدعوه فيها إلى التسليم. فأجابه السلطان برسالة فيها تصميم على الدفاع عن بلاده مهما كان الثمن. وبذا نام مشروع فتح دارفور مؤقتاً حتى يحين

78. شقير: نفس المصدر ج3، ص 130.

79. المصدر السابق ج2، ص 130.

الوقت المناسب.[80]

## السلطان محمد حسين (1839-1874م):

توفي السلطان محمد فضل عام 1839م فخلفه على عرش دارفور ابنه السلطان محمد حسين (1839-1874م) وليس لدينا من سيرة هذا السلطان ما يستحق الاهتمام سوى شدة حرصه على المحافظة على استقلال بلاده. فيقال إنه أنشأ جيشاً قوياً سلحه -لأول مرة في تاريخ دارفور- بالأسلحة النارية بدلاً من السيوف والحراب الدرق والسكاكين والنشاب.[81]

وثم حادثة مشهورة وقعت في عهد السلطان محمد حسين، وهي الحادثة المعروفة بواقعة القرطاس. فيقال إن السلطان محمد حسين ساءه اعتداء عربان المعاليا على قافلة قادمة من مصر، فاستغل السلطان ما عرف من عداء قديم بين عربان المعاليا وعربان حمر، وأوعز إلى شيخ قبيلة حمر بشن الحرب على المعاليا وأباح لهم دمائهم وأموالهم. ونشبت بين القبيلتين معركة شديدة انتهت بهزيمة المعاليا، وسميت هذه الواقعة بالقرطاس بسبب امتلاء الصحراء بقراطيس السكر والأنسجة التي كان عربان المعاليا نهبوها من تجار القافلة.[82]

أما عن علاقة السلطان محمد حسين بمصر فإنها كانت على كل حال طيبة، ولو أنه كان دائم الشك في نوايا حكامها. واكتفي السلطان بتبادل الهدايا مع الخديو سعيد ثم إسماعيل.

---

80. المصدر السابق ج2، ص 132-131.

81. المصدر السابق ص 133-132.

82. المصدر السابق ص 134.

## السلطان إبراهيم (1874-1875م):

أما خلفه السلطان إبراهيم (1874-1875م) فانه كان آخر سلاطين دارفور. ولم يتعد حكمه القصير سنة وسبعة أشهر انتهي بعدها عصر سلاطين دارفور. وغدت هذه البلاد جزءاً من الأقاليم السودانية الخاضعة لمصر. وقدر لرجل لم يعهد إليه بفتح دارفور القيام بهذا العمل. أما هذا الرجل فهو الزبير رحمت العباس. تفصيل ذلك أن الخديو إسماعيل كان قد أصدر قراراً بتعيين الزبير حاكماً على إقليم بحر الغزال. ولكي يبرهن الزبير على ولائه للخديو، بعد ما أشيع عنه عكس ذلك، فإنه اعتزم السفر من بحر الغزال إلى الخرطوم لإعلان هذا الولاء، والبحث مع حكمدار السودان -إسماعيل أيوب- فيما تتطلبه إداره هذا الإقليم من وسائل تكفل توطيد سلطان الحكومة فيه. غير أن الزبير بلغه -قبل أن يغادر بحر الغزال إلى الخرطوم- أن عرب الرزيقات وغيرهم أغاروا على حدود مديريته وقطعوا الطريق بين بحر الغزال وبين دارفور. فرأى الزبير أن يقوم أولاً بتأديب أولئك العربان ثم يواصل سيره إلى الخرطوم عن طريق كردفان، وأعد الزبير لهذا الغرض حملة تقدم بها شمالاً إلى مواطن الرزيقات.

ونشبت بين الفريقين معركة انتهت بانتصار الزبير ودخوله شكّا. ثم هرب إثنان من مشايخ الرزيقات إلى دارفور وطلبا من السلطان إبراهيم حمايتهما من الزبير وجنوده، وعاهداه على الخضوع والطاعة بعد أن أعلن الرزيقات استقلالهم عن سلطنة دارفور من 30 سنة مضت. ومن الطبيعي أن يرحب السلطان بحماية هذين الشيخين لما يترتب على حمايتهما من استرداد ما فقدته سلطنة دارفور من أقاليم.[83]

83. مكي شبيكة: السودان في قرن، ص 87-86.

حاول الزبير إقناع السلطان إبراهيم بعدم الاهتمام بأمر هذين الشيخين للحفاظ على حسن العلاقات والمودة التي ربطت بين والده وبين الحكومة المصرية. وشرح له كيف أفسد الرزيقات الطريق الذي يربط بحر الغزال ببقية أقاليم السودان عن طريق دارفور. وختم الزبير رسالته إلى السلطان إبراهيم بان هذين الشيخين فتنة ولا يليق بمثله أن يستمع اليهما. وظل الزبير يراسل السلطان عساه يقبل النصح ولكن السلطان لم يوافق على تسليمهما. واستعد الطرفان للحرب، وأدي انتصار الزبير على تجريده للسلطان قرب شكًا إلى تقدم قوات الزبير شمالا مكتسحاً في طريقة كل أثر للمقاومة من جانب السلطان، ولما رأي السلطان إبراهيم عدم جدوى هذه التجريدات التي بعث بها ضد الزبير، قام بنفسه على رأس حملة أخيرة لمباغتة الزبير في باره. بيد أن جيش السلطان لم يستطع اقتحام حصون باره التي أعتصم بها الزبير ومن ثم تراجع عنها، فتعقبه الزبير وأدركه عند بلدة منواشي حيث دارت الدائرة على جيوش السلطان وانتهي الأمر بقتله، وضياع ملكه سنة 1875م.[84]

ظلت دارفور تحت الإدارة المصرية في السودان من سنة 1875م وهي السنة التي دخل فيها الزبير دارفور حتى سنة 1883م وهي السنة التي امتد فيها نفوذ المهدية إلى دارفور. ولم يخل عهد الحكم المصري في دارفور من محاولات من جانب بعض الأمراء الفوراويين لاسترداد ملكهم. كما لم يخل حكم المهدية في دارفور من حركات بعض الأمراء لتحقيق هذا الغرض كذلك. واستطاع أحد أولئك الأمراء، وهو علي دينار، أن يظفر بحكم دارفور بعد استرداد السودان سنة 1896م بشرط دفع الضرائب المقررة لحكومة السودان. وتلقب علي دينار بلقب سلطان وظل على حكم دارفور حتى سنة 1916م. وفي هذه

84. شقير: نفس المصدر ج3، ص 83-68.

السنة جردت عليه حكومة السودان حملة انهت حكم سلالة سلاطين دارفور وأمست دارفور مديرية من مديريات السودان الحديث.

## نظام الحكم في سلطنة دارفور

جري حكم دارفور على أساس الحكم الملكي المطلق. فالسلطان هو الرئيس الأعلى للدولة وكلمته نافذة في رقاب الناس وأموالهم، ولا راد لحكمه فيهم إلا عن طريق الشفاعة. ويصل السلطان إلى العرش عن طريق الوراثة. ويتم اختياره من بيت أفراد البيت المالك في دارفور بواسطة مجلس خاص يوم وفاة السلطان الراحل. ويظل السلطان الجديد مدة سبعة أيام لا يباشر فيها أي عمل رسمي، حتى إذا جاء اليوم الثامن، أقيم لتنصيبه حفل ضخم يحضره الخاصة والعامة من أهل دارفور. أما عن سلطته المطلقة، فربما كان مبعثها ما قر في نفوس الناس من أن السلطان شخصية مقدسة يجب طاعتها طاعة عمياء. يبدو ذلك واضحاً من وصف التونسي لمجلس السلطان. من ذلك أنه إذا جلس السلطان في ديوانه للحكم وقف خلفه الحرس الخاص المسمون كوركوا، وجلس القضاء والفقهاء عن يمينه ويساره، ووقف أمامه اثنان من الأمناء (الوزراء) ثم سبعة من المترجمين ليكونوا واسطة بين السلطان وأصحاب الدعاوي. ثم يدخل أصحاب الدعاوي جاثين على ركبهم، وإذا حياهم السلطان مسحوا التراب بأيديهم. وإذا تكلم أحد في مجلسه لا

يبدأ الكلام إلا بقوله: «سلم على سيدنا»، إن كان المتكلم عربياً. وإن كان فوراويا قال: «أبا كورى دونجاجني» ومعناها كذلك. وإذا طال مجلس السلطان روح عليه خدمه بمراوح من ريش النعام. وإذا خرج للصيد ظللوه بشمسية وأربع مراوح. وإذا وقع السلطان من على ظهر جواده وجب على من معه، كائناً من كانوا، أن يلقوا بأنفسهم من على ظهور الخيل. ومن خالف ذلك عوقب بأشد أنواع العقاب.[85]

أما عن زي السلطان وشاراته فيذكر التونسي: أن السلطان يلبس قميصين من القماش الأبيض أو الأسود الرفيع المجلوب من مصر، ويضع على رأسه كشميراً ويتلثم بلثام من القماش الأبيض ويضع على راسه من هذا اللثام طيات، وعلى أنفه وفمه لثاماً منه وكذلك على جبينه بحيث لا يظهر منه سوى عيناه، ويضع السلطان في جنبه سيفاً وحجاباً مذهبين. وإذا سار رفعت أمامه سجادة.[86]

وعرف مجلس السلطان أو البلاط السلطاني باسم فاشر. ولما كان هذا المجلس يعقد عادة في الخلاء أو في الميدان الواسع أمام قصر السلطان، فقد أطلق على هذا الميدان اسم فاشر. ولم يلبث هذا الاسم أن أطلق على قصر السلطان أو العاصمة التي يستقر فيها السلطان[87]. وقد دأب السلاطين على التنقل بفاشرهم من منطقة إلى أخرى حسبما تقضي سياسة حفظ الأمن في الداخل، أو الدفاع عن حدود البلاد ضد أي معتد من الخارج، حتى إذا كان عهد السلطان عبد الرحمن الرشيد اتخذ

85. التونسي: نفس المصدر ص 156-151.

86. المصدر السابق: ص 189-188.

87. Barth, H.: Op. Cit., pp. 552-553.

فاشره في تندلتي[88]. ولم تلبث تندلتي هذه أن خلع عليها اسم الفاشر، وهي مدينة الفاشر الحالية.

لا نعرف عن قصور السلاطين القدامى شيئاً، وأول وصف للقصر السلطاني هو الذي ذكره التونسي خاصاً بقصر السلطان عبد الرحمن الرشيد وإبنه السلطان محمد فضل. ويبدو من الوصف أنه كان يقع على شاطئ خور تندلتي، ومن حوله منازل أمراء البيت المالك والوزراء والفقهاء وكبار رجال الدولة. ولهذا القصر سور به بابان كبيران خصص أحدهما للرجال ويعرف باسم وريديا، وخصص ثانيهما للنساء ويعرف باسم وريبايا، ويحتوي القصر من الداخل على ديوان للسلطان وخزائنه، ومساكن نسائه وجواريه وحرسه الخاص (كوركوا) وسواس خيله (الكورايات) ومحل النحاس. ويعرف كل من هذه المساكن باسم اللقداية. وخصص لكل فئة من هذه الفئات أبواب خاصة للدخول والخروج بلغ عددها جميعاً ثمانية، منها أربعة لأهل وريديا، وأربعة لأهل وريبايا.[89]

وتقضي التقاليد أن يحافظ كل ذي منصب على موضع سكنه بالنسبة لقصر السلطان خلفاً عن سلف. فكل من تولي منصباً عليه أن يبني بيته في محل صاحب المنصب الأول أو قريباً منه، ويحافظ هؤلاء على هذا النظام أثناء السفر كذلك.[90]

ويحق للسلطان أن يقتني من النساء عشرات، أربعاً منهن شرعيات والباقيات محظيات.

عرف أفراد الأسرة المالكة من الذكور بالأمراء، عليهم رئيس

---

88. التونسي: نفس المصدر ص 129-107-60.

89. المصدر السابق: ص 188-173.

90. المصدر السابق: ص 187.

منهم يحمل لقب باسي وهو المسئول عن سلوك أفراد الأسرة المالكة، وترتيب زواج الأميرات[91]. أما الأميرات فعرفن بإسم ميارم، مفرده ميرم، كما عرفت الأميرة الأولي باسم إياباسي. أما العجائز منهن فكن يعرفن بالحبوبات، أما السيدة الأولي بالقصر السلطاني فإنها كانت تحمل لقب إيا كوري، أي الملكة. وقد تكون الإيا كورى إحدى زوجات السلطان أو أمه أو أخته الكبرى. وتتمتع الإيا كورى بنفوذ واسع كذلك.[92]

ويساعد السلطان في تصريف الأمور في الحكومة المركزية مجلس الأمناء، أي الوزراء، وعددهم أربعة: رئيسهم الأب شيخ وهو الوزير الأعظم، أي رئيس الوزراء. ويتكون من هؤلاء وقاضي القضاة مجلس السلطان أو فاشره. ويبدو أنه كان لكل من أولئك الأمناء الأربعة عمل خاص في الحكومة المركزية. فأمين على شئون العسكر (كوركوا) وأمين على خزائن وأموال الدولة، وأمين على شئون الخيل والدواب السلطانية، وأمين على الأسلحة. ويقوم مجلس الأمناء -فضلاً عن مساعدة السلطان في تصريف شئون الدولة- باختيار السلطان الجديد عقب وفاة السلطان بعد استشارة وجوه القوم حسبما يقتضي الرسم في وراثة عرش السلطنة، وللأمين مجلس وحرس وأمناء على مصالحه الخاصة مثل السلطان، ما عدا شارات الملك. ولكل منهم اقطاع خاص وحرس خاص كذلك.[93]

أما منصب الأب الشيخ، فهو منصب الوزير الأعظم، أي رئيس الوزراء والقائد العام للجيش السلطاني، فضلاً عن أنه كان يتولى حكم الولاية الشرقية من مقره في عاصمة السلطنة.

---

91. Arkell, A.J.: S.N.R. XXXII, part I, p. 44 n.

92. التونسي: نفس المصدر ص 86.

93. El Tunsi: Voyage au Danfour, pp. 64, 65, 71, 85, 173, 174.

والمعروف أن الرسم جري في دارفور ألا يتولى منصب الأب شيخ سوي عبد خصي، ومع ذلك تولاه محمد كرا على الرغم من أنه حر. والمعروف أن محمد كرا خصى نفسه، ويبدو أن هذا كان كافياً في نظر السلطان عبد الرحمن الرشيد لتوليته هذا المنصب الخطير. ثم أن الأب شيخ كان المرجع الأعلى لتفسير القانون المعروف بإسم «قانون دالي».

ومن مناصب الإدارة المركزية منصب الكامنة، ويطلق عليه الفور إسم «أبا فوري». ويذكر التونسي أنه كان لصاحب هذا المنصب إقطاع كبيرة وعساكر كثيرة ويفعل مثلما يفعل السلطان. ويبدو أن صاحب هذا المنصب من سلالة ملوك الفور القدماء. وقد احتفظ بهذا المنصب الشرعي في نظر الفور إلى جانب صاحب النفوذ الفعلي في البلاد وهو السلطان. ويضيف التونسي: «إن من عادة الفور أن السلطان إذا قتل في الحرب وسلم الكامنة، حتى رجع إلى محل الأمن يقتلونه، لكي يخنقونه سراً، ويولون غيره للسلطان المتولي. وإذا مات السلطان على فراشه لا يقتل الكامنة».[94]

ومن مناصب الإدارة المركزية كذلك منصب «أروندولونج» وصاحبه يقوم بعمل الحاجب في القصر السلطاني، وهو الحاكم العام للعاصمة والمسئول عن حفظ الأمن فيها.[95]

ومن المناصب الهامة كذلك منصب السوميندقلة، وصاحب هذا المنصب مسئول عن شئون الحريم السلطاني وتربية أبناء السلطان، فضلا عن أنه كاتم اسراره ومبعوثه الخاص. ولجماعة السوميندقلة رئيس يعرف بملك السوميندقلة وهو: «منصب

94. التونسي: نفس المصدر ص 162.

95. MacMichael, H.A.: Op. Cit., p. 105.

عظيم القدر ذو أبهة «عظيمة وأقطاع» على قول التونسي.[96]

وللسلطان حرس خاص من حاملي الحراب يعرفون بالكوركوا. ومن هذا الحرس توجد فرقة للموسيقي، وفرقة المغنين وحاملي القيثارات والطبول ومن إليهم.[97]

واختص ملك الموجيه بإدخال السرور على قلب السلطان وتسليته[98]، ويشرف على خيل السلطان جماعة الكورايات.[99]

وثم منصب هام هو منصب ورببايه، ويختص بالأشراف على جميع الخصيان الموكل إليهم خدمة حريم السلطان، ولذا فإن هذا المنصب لا يتولاه الا خصى وهو الذي يتولى منصب الأب شيخ بعد وفاته، وهو فضلاً عن ذلك صاحب غضب السلطان ورئيس سجنه، فإذا غضب السلطان على شخص عهد إلى ورببايه يزجه في هذا السجن.[100]

ويلي هذا المنصب منصب ملك العبيدية، وهو الحاكم على جميع عبيد السلطان خارج القصر السلطاني وفي الأقاليم، والمسئول عن مواشي السلطان وآلات السفر من خيم وقرب وغيرها[101]. ولقد جرت عادة سلاطين دارفور على جلب عدد من الأرقاء للعمل في خدمة السلطنة. ومن هؤلاء يمكن أن نميز بين مجموعتين، الأولي الأرقاء الذين جلبهم السلاطين، ولا سيما السلطان تيراب أواخر القرن الثامن عشر من جبال نوبا

96. التونسي: نفس المصدر ص 74-75-163-164.

97. El Tunsi: Voyage au Danfour, pp. 62, 161, 178.

98. التونسي: نفس المصدر ص 166-167.

99. المصدر السابق: ص 77.

100. المصدر السابق: ص 164.

101. نفس المصدر والصفحة.

بكردفان، ومن هؤلاء العبيدية الذين يعيشون حول كبكابية وكتم وكذلك لسادنجا الذين جلبوا من إقليم برنو. أما المجموعة الثانية فهي التي كانت في أقصى الجنوب، وكانت موزعة بين جنوب دارفور وشمال بحر الغزال وإقليم واداى، وأطلق على هذه المجموعة زمن التونسي اسم فرتيت، وهو اسم أطلقه العرب على القبائل الزنجية التي تعرضت لغزو العرب واسترقاقهم.

ويلي ملك العبيدية، ملك القوارين أي المكاسين، ويتبع صاحب هذا المنصب عدد من جباة الضرائب على التجارة الصادرة والواردة. ثم ملك الجبابين ويتبعه عدد من الجباة الذين يقومون على جباية الضرائب عيناً من غلال وحبوب وغيرها. ثم ملك الحدادين.[102]

أما عن حكم الأقاليم فيبدو مما ذكره التونسي أن سلطنة دارفور حتى عهد السلطان عبد الرحمن الرشيد وإبنه السلطان محمد فضل، كانت تنقسم من الناحية الإدارية إلى أربع ولايات عرفت الواحدة منها باسم دارفور. ويلي الحكم فيها وال من قبل السلطان كان بمثابة ملك «Vice-roy» وهم «أباديما» على ولاية جنوب غرب دارفور، والتكتياوى على الولاية الشمالية، و «أباومنج» على ولاية جنوب شرق دارفور، والأب شيخ على الولاية الشرقية بالإضافة إلى عمله الأصلي الذي سبقت الإشارة إليه.

ويذكر التونسي أنه أطلق على كل واحد من أولئك الولاة لقب خاص يدل على علاقته بالسلطان، وهي ألقاب مشتقه من جسم السلطان. غير أن ناختيجال لا يوافق التونسي على ذلك، ويري أن مناصب الولاة الثلاثة: أباديما، والتكتياوى، وأباوما، كانت وراثية، وان كلا منهم ينتمي إلى بطن من بطون الفور. أما الولاية الشرقية التي كان يليها الأب شيخ فإنها لم تكن كذلك،

102. المصدر السابق: ص 165-164.

لأن واليها خصى.

وتذكر المراجع أنه منذ نهاية القرن الثامن عشر أو بداية القرن التاسع عشر تعدل هذا النظام، وتحولت الولايات الأربع الكبرى فيما بعد إلى متدوميات مفردها مقدومية، على كل منها مقدوم. يلي منصبه بطريق التعيين حتى لا يزداد نفوذ الولاة القدامى على حساب السلطان. كما ألغي منصب الأب شيخ بعد النزاع الذي نشب بين الأب شيخ محمد كرا والسلطان محمد فضل. وأبقي النظام الجديد على مناصب أباديما والتكتياوى وأباوما إلى جانب المقاديم، وهو ما يعرف بالنظام المزدوج. واختلفت طبيعة نفوذ كل من الولاة القدامى قوة وضعفاً من مقدومية إلى أخرى. مثال ذلك أن أباوما (أو منجاوى) لم يتعد نفوذه منطقة صغيرة في جنوب شرق جبل مرة، على حين أن أباديما (ديمانجاوي) ظل قوة لها خطرها في جنوب غرب دارفور. أما التكتياوى فإنه خضع خضوعاً تاماً لمقدوم الشمال. وظل هذا النظام حتى نهاية حكم علي دينار سنه 1916م.

أما عن سلطة الوالي أو المقدوم فإنها كانت مطلقة، فله على الناس الخاضعين لسلطانه حق الحياة أو الموت، ما عدا بعض الحالات الخاصة التي يرجع فيها إلى السلطان. ويتمتع الوالي أو المقدوم في إقليمه بكل ما يتمتع به السلطان في بلاطه من مظاهر، مثال ذلك أن له حاجباً (أرولندولنج) وحرساً خاصاً (كوركوا) وجيشاً خاصاً كذلك.

وتنقسم كل ولاية أو مقدومية إلى إثنتا عشرة شرتايه، على رأس كل منها حاكم يعرف بالشرتاى، والجمع شراتى، وتنقسم الشرتايات إلى عدد من الدملجيات على رأس كل منها حاكم يعرف بالدملج، وهو شيخ القبيلة. ويبدو أن لفظ دملج لفظ عامي معرب معناه «أسورة تلبس فوق المرفق»، ويطلق على

الدملج في لغة الفور اسم دلمنج «Dilmong» ويتبع الدملج عدد من مشايخ القرى يعرفون عادة بالملوك، ويطلق الفور عليهم إسم سجالا Sagala مفردة سجال Sagal.

ويبدو أن لقب ملك من الألقاب الشائعة في دارفور وقد استعاره الفور من العرب وأطلقوه دون تمييز على كل ذي سلطة أو نفوذ، من شيخ القرية إلى سلطان دارفور نفسه. أما العربان سواء من البقارة أو من الابالة فكان على كل قبيلة منها رئيس، ويعرف هؤلاء الرؤساء بالسلاطين الصغار بفرمان من السلطان، ويتبعون واحداً من الولاة أو المقاديم السابق ذكرهم.

وجرت عادة حكام الأقاليم في دارفور أن يرسلوا أولياء عهودهم إلى قصر السلطان ليظلوا رهائن عنده. وبذا يضمن السلطان ولاء آبائهم له من ناحية، ويضمن من ناحية اخري ولاء هؤلاء عندما يتقلدون حكم بلادهم. ولذا خصص السلطان لأولياء العهد وأبنائه وأبناء الأمراء منزلاً خاصاً ملحقاً بقصره، وعهد إلى سوميندقلة بالإشراف على تربيتهم وتعليمهم القراءة والكتابة. وقد يكون من بين هؤلاء دادات السلطان مستقبلاً.

والدادات هم الذين تربوا ونشأوا مع السلطان منذ نعومة اظفارهم.

أما عن نظام الملكية في سلطنة دارفور، فالمراجع تشير دائماً إلى أن الأرض ومن عليها ملك للسلطان يقطعها لمن يشاء من رعاياه. وقد قسم سلاطين دارفور الأراضي الزراعية إلى حواكير (مفردها حاكورة، أي إقطاع) وأقطعوها لأفراد البيت المالك وخاصتهم وكذلك الفقهاء وكبار رجال الدولة بمقتضي حجج مختومة بأختامهم. فعاش هؤلاء والقائمون على زراعتها ما تنتجه هذه الحواكير من محاصيل. كما قسم السلاطين قبائل البادية على الأمراء. وفيما يلي نص وثيقة إقطاع كتبها السلطان

عبد الرحمن الرشيد للفقيه عمر التونسي، أبي الرحالة المشهور محمد بن عمر التونسي[103]: «من حضرة السلطان الأعظم والملاذ الافخم، سلطان العرب والعجم ومالك رقاب الأمم، سلطان البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين، الواثق بعناية الملك المبدى المعين، السلطان عبد الرحمن الرشيد. إلى حضره الملوك والحكام والشراتي والدمالج واولاد السلاطين، والجبايين، وأهل دولة السلطان من العرب والسودان أما بعد: فإن السلطان المذكور المبرر، المؤيد المظفر، المنصور تفضل وأمد بمعونته وأعطي العلامة السيد الشريف عمر التونسي قطعة من الأرض كائنه بأبي الجدول، حاوية لثلاث حلل من حلة جولتو والدبة وأم بعوضة، بحدودها المعروفة، واتخامها الموصوفة حسبما حدده الملك جوهر للملك خميس عرفان. لا يعارضه فيها معارض ولا ينازعه منازع من أهل المملوكة خصوصا جبابي العيش. يتصرف فيها بأي نوع من وجوه التصرفات شاء، هبة لوجه الله تعالي، وطلباً للثواب في المثاب، والحذر ثم الحذر من الخلاف، والتعرض من الخاص أو العام».

ويذكر التونسي أن الحكام يسخرون رعاياهم في زراعة حواكيرهم، دخناً وذرة وسمسماً وفولاً وقطناً، ثم يحصدونها ويدرسونها لهم قهراً عليهم. ويقوم أولئك الحكام ببيع هذه المحاصيل وشراء ما يلزم لجيوشهم من خيل وأسلحة. ولهؤلاء الحكام -فضلاً عما تنتجه حواكيرهم من محاصيل- مصادر أخرى للدخل منها: الهامل أي الضال من رقيق وبقر وغنم وحمير، ومنها التقادم، وهي الهدية التي تقدمها إليه الرعية حين قدومه عليهم من عند السلطان حاملا فرمان التولية. ومنها: الخطية، أو الحكم وهي الغرامة التي تحصل ممن تثبت إدانته في قضية من القضايا المعروضة عليهم للفصل فيها.

---

103. التونسي: نفس المصدر، ص 65-64.

اما الإيرادات التي ينفق منها السلطان على قصره وحاشيته وجيشه، فإن لها مصادر مختلفة منها عشر الحبوب التي يجبيها ملك الجبايين ومساعدوه من الحضر. ويقال إن نصيب السلطان من هذه الحبوب يحفظ في مطامير أو مخازن خاصة لحين الحاجة إليها. أما البدو فتجبى منهم زكاة الماشية. وللسلطان عشر قيمة المتاجر الصادرة أو الواردة، كما أن له نصيباً من الأسلحة التي تنتجها جماعة الحدادين، هذا فضلاً عما يدخل خزينة السلطان من هدايا أصحاب الحواكير والتجار، والحكام على مختلف طبقاتهم. ذلك أن العرف جرى في دارفور ألا يدخل أحد من هؤلاء على السلطان إلا ومعه هدية تعرف بـ «السلام» وتشمل هذه الهدية في الغالب على رقيق وإبل وخيل وبقر وغنم وتكاكى وعسل وسمن وسن ريش.

أما القضاء في دارفور فكان يتمشى مع أحكام الشريعة الإسلامية ولا سيما في المناطق التي غلب عليها الطابع العربي الإسلامي، ويتولى النظر في القضايا في هذه الأقاليم قضاة تابعون لقاضي القضاة في العاصمة.

أما المناطق التي لم يتخل سكانها عن عاداتهم وتقاليدهم القديمة، فكانت تطبق عليهم أحكام القانون المعروف باسم «قانون دالى»[104] ولفظ دالى هذا معناه في لغة الفور «لسان» وقد يكون المقصود به (لسان السلطان أو أوامره) وتذكر بعض الروايات أن هذا القانون ينسب إلى السلطان دالى وهو الذي جمعه وسجله في كتاب عرف بكتاب دالى. وكيفما كان الأمر فإن هذا القانون استمد أحكامه من عادات أهل البلاد وتقاليدهم. ويقوم على تنفيذ أحكامه وتطبيقها الولاة والشراتي وأصحاب الحواكير. ومن أحكام هذا القانون على سبيل المثال:

---

104. راجع شقير: ج2، ص 138-137.

1. أن يكون الملك وراثيا للابن الأكبر، إلا إذا كان غير لائق للأحكام فيولون غيره ممن يتمتع باللياقة من أفراد الأسرة المالكة.

2. قصاص السارق غرامة ست بقرات أو ما هو بثمنها، فإذا لم يقدمها حبس إلى أن يفتديه أهله.

3. قصاص القاتل، القتل، إذا كان القتل عمداً. وإلا فدفع الدية: مائة بقرة إذا كان من البقارة، أو مائة إبل إذا كان من الأبالة.

4. أما الزاني، فإن زني بمحصنة فغرامته 6 بقرات، أو بايثم فبقرة واحدة، أو ببكر فكل منهما يغرم بقرة.

5. وقصاص الضارب، فإن كان في الضرب جرح فغرامة ثوب من الدمور، وإن لم يكن جرح فنصف ثوب. وهكذا جزاء الشاتم.

ويلاحظ أن كل هذه الغرامات يتقاضاها الحكام ويتقاسمونها مع السلطان، ولذلك ما عدا دية القتل، فإنهم يشاركون فيها أهل القتيل.

مصطفي محمد مسعد

رقم الايداع: ٢٠١٥/١٧٥٦٨